ديوان

صالح جودت

الجزء الأول

يناير

سنة ١٩٣٤

المطبعة المصرية الأهلية الحديثة بالقاهرة

ديوان

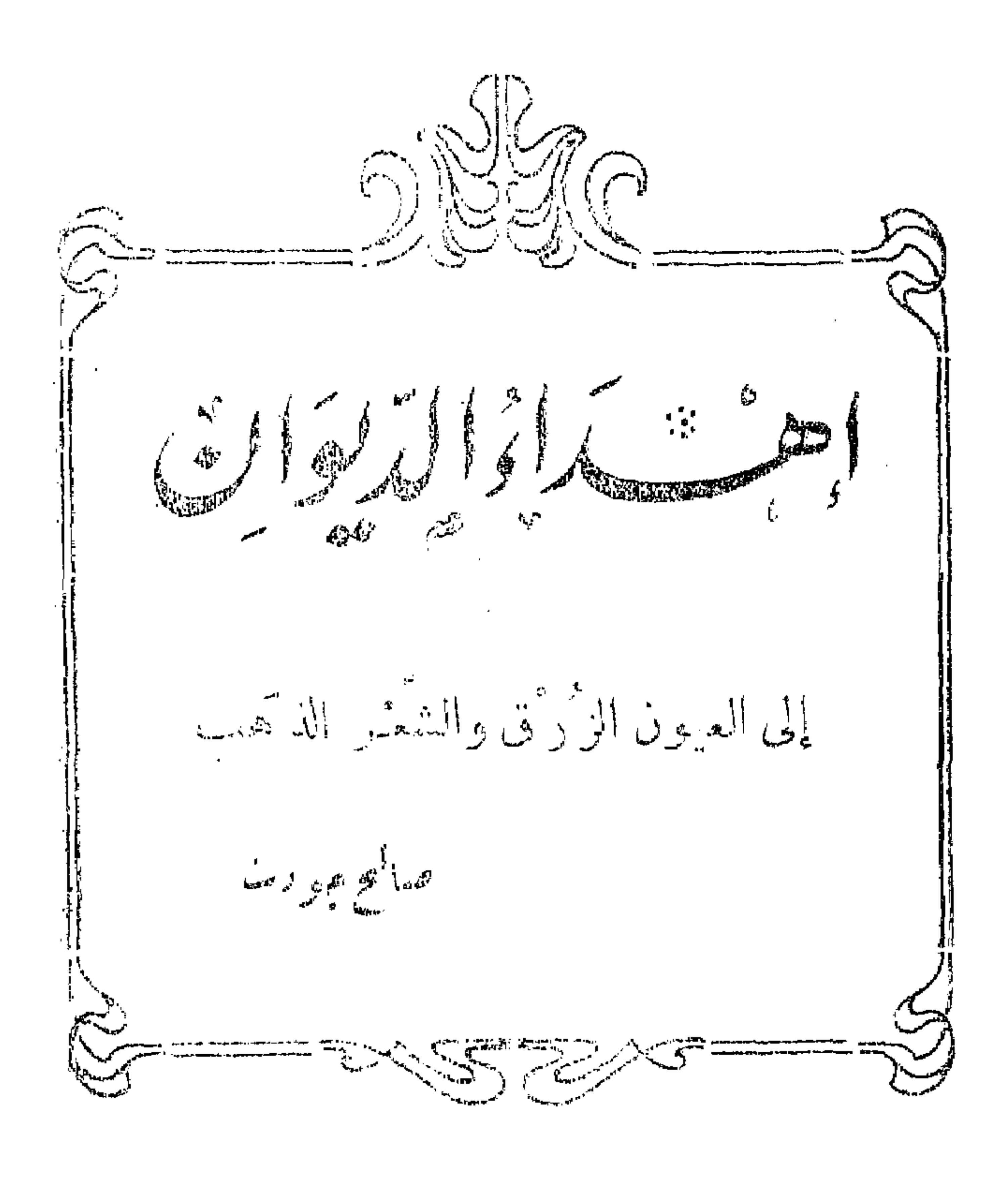
صالح جودت

الجزء الأول

يناير

سنة ١٩٣٤

المطبعة المصرية الأهلية الحديثة بالقاهرة



إهداء الديوان

إلى العيون الزرق والشعر الذهب

صالح جودت

تصدير

لم أتناول هذا الديوان بفرحة المؤمن بمواهب صديقي الشاعر المبدع صالح جودت بقدر فرحي بالظاهرة الحية الجديدة لشعر الجيل الحاضر . ان لصالح جودت من الطاقة الشعرية مايبشر بفتوح رائعة في مستقبله الأدبي ، فلنا أن نؤجل تهنئته وهو بعد في نهاية العقد الثاني من عمره فسوف يستأهل تقديراً أجل كلما أمعن في فتوحاته الشعرية بوحيه نبوغه وجرأته واستلهامه الحياة . ولكن لنا أن نهنىء أنفسنا وجيلنا الحاضر بالظاهرة الجديدة التي تتمثل في صالح جودت وأقرانه من شعراء الشباب — ظاهرة الاستقلال والحرية والاندماج في الحياة .

وإنْ أنسَ لا أنسَ مظاهرَ الشعر الجديد منذ ربع قرن مضى ، فقد كان الشباب من الشعراء لايعنيهم وقتئذ غير المحاكاة ، وكانت غايتهم المباهاة بمجاراة أعلام الشعراء حينئذ ، وبخاصة الاعلام المحافظين . ولما صدر « ديوان

الخليل » لأستاذنا مطران كنت أحذّر من قراءته ، وكان شغف مثلي بما فيه من الطريف الشائق دليلاً على شذوذيّ السقيم في نظر زملائي المتأدبين . . وبهذه الروح استمر الشعر المصريّ زمناً عبداً للتقليد والصناعة ، وقلما تجاوز ميدان المناسبات الاجتماعية والسياسية والشخصية . . أما الآن فماذا نرى ؟ نرى شعراءَ الشباب النابهين يبدؤون حيث انتهى غيرهم ، مقدمين بشجاعة على ميادين جديدة فسيحة ، فثقافتهم تعين شاعريتهم المطبوعة على تجنب المحاكاة المألوفة ، وروحهم الشعرية الأصيلة تأبى القيود وتثور أيّة ثورة .

ليس حتماً أنّ الشاعر النابغ في شبابه يطرد نبوغه في كهولته وشيخوخته فبعض الشعراء العالميين كالمتنبي وابي العلاء وملتون وبردجز جاءت آثارهم القوية فيما بعد شبابهم ولكن مما يسترعي الانتباه أنّ وثبة شعراء الشباب في هذا الجيل بل ثورتهم لا تشعر بأنها حالة وقتية بل تبشر بنهضة مطردة ، وهي الآن بصورة قوية أخاذة .

ولنضربْ مثلاً بالمتنبي الشاعر العبقري الخالد القائل في صباه :

بأبي مَنْ ودِدْته فافترقنا
وقضى اللهُ بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولاً فلما التقينا
كان تسليمه عليّ وداعا

والقائل :

قِفا قليلاً بها عليّ فلا
أقلّ مِنْ نظرةٍ أزوّدُها
ففي فؤاد المحب نار جوًى
أحر نار الجحيم أبردها
ليس يحيك الملام في همم
أقربها منك عنك أبعدها
بئس الليالي سهدتُ من طربٍ
شوقاً إلى مَنْ يبيت يرقدها
أحييتها والدموع تنجدني
شؤونها والظلام ينجدها

والقائل :

شمس اذا الشمس لاقته على فرس
تردد النور فيها من تردده

إن يقبح الحسن الا عند طلعته
والعبد يقبح الا عند سيده
نفس تصغر نفس الدهر من كبر
لها نهى كهله في سن أمرده

فهو في هذا الطور من حياته لم يكن أقوى شاعرية ولا أبعد مرمى ولا اسمى بياناً من شعراء جيلنا المتوثب وفي طليعتهم صالح جودت الذى ينفح الشعر العربي بالراهب المتمرد والهيكل المستباح والمهزلة الكبرى وبغيرها من شعر الفلسفة والوجدان والتصوف في قالب فنى جميل يشعرنا بالحياة الفنية المتجددة على أيدي الرائدين من شعراء هذا الجيل .

إن صالح جودت بفطرته شاعر غنائي حساس حلو العبارة فياض العاطفة جياش بالمعانى العذبة الرقيقة ، ولكنه إلى جانب ذلك الشاعر الوطنى والشاعر الفلسفى حينما تثيره ظروف خاصة ، فترى في ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة في مشاعر هـذا الجيل . ولو لم يكن لصالح جودت غير شعره العاطفي الخالص لكفانا ذلك داعياً للحفاوة بشعره ، فلا يجوز أن يطالب أى شاعر بلون

خاص من الشعر مطالبة الارغام ... ان الشعر الحي الصادق الشعور يعبر عن خوالجه بلغته الخاصة متجاوبا مع الحياة الشاملة قبل أن يتجاوب مع بيئتـه ؛ ويجب أن يكون الشاعر — ككل فنان — مالكا تمام حريته ، فاذا كانت شاعريته راضخة لمؤثرات وطنية قوية فأهلا بشعره الوطني المشتعل ، وإذا جاءت سمحة هادئة وديعـة تبتسم بروح الاخاء الانساني فأهلا بهذا الشعر الانساني الصافي ، وكيفما كانت المؤثرات التي توحيها فعلينا أن نرحب بها كألوان من الفن اذا كنا نعرف معنى الفن وحرمته .

يقول صالح جودت الشاعر الفنانى الرقيق في مقطوعة البديعة « العيون الزرق » :

عين من يهواك تشتاق الكرى
قلب من يهواك يشدو بالحنين
هل رأيت الدمع من عيني جرى ؟
هل سمعت القلب موصول الأنين ؟

الى أن يقول :

أيها الهاجر من غير سبب
لو تجافى ... أنا راض بجفاك

العيون الزُرقُ والشعر الذهب
أَلجأني يا حبيبي لهواك !

فيملن لنا الروح المصرية الرشيقة الساحرة التي تذكرنا روح البها زهير ، ويبرهن لنا أن اللغة الفصحى السلسة جديرة بأن تؤدي على الروح الغنائية ، وأن من يلجأون إلى العامية تملقا للجماهير أو بدعوى صلاحيتها للفن الغنائي دون سواها انما يشطون ويسفون ويسيئون الى أدب لغتهم بالهبوط الى مستوى الدهماء بدل الارتفاع بهم ؛ وبخلق صبغة فنية للغة العامية تهدد بها الفصحى لغة الثقافة والفنون الأدبية من قرون .

ويبدو صالح جودت فى مسوح المصلح الاجتماعى فى « الهيكل المستباح » وهى قصيدة رائعة يفسدها الاقتباس منها ، وهو حين يبدو فى هذه المسوح لانراه يتعمد ذلك ، بل هذه النزعة النبيلة الفطرية تصحبه عفواً فنستسيغ شعره ونستملحه ، سواء أشاركناه فى نظراته أم لم نشاركه ، فهو شاعر أولا ومصلح ثانياً ، وشاعريته تستوعب النظريات الاصلاحية وتطبيقها ثم تفيض بوحيها ، ؛ وشتان بين ذلك وبين النظم السكلامى المجرد ، كلام الخطب المنبرية الشائع في

أساليب الناظمين الذين يحاولون تسخير الشعر لغايات وأهواء خاصة ثم يسخرون من الشعراء المطبوعين !

ومن العجيب ، أو ليس من العجيب أن شاعرنا الذي يتسم شعره كشخصه بسمات الاناقة والرقة لم يسلم من شكوى البيئة تلك الشكوي التي تكاد تكون متفشية بين جميع الشعراء المعاصرين اتقاء ما يعانونه من غمط الفضل أو قلة الوفاء أو الصدوف عن مآثرهم وصيحاتهم ، وحسبك من بثه هذه المقطوعة اللاذعة :

قد سئمت الغباء في مصر حتى
لا أطيق الحديث الا لنفسى
جهل الناس ماأقول ... وقالوا
ما أراه مضيعاً طيب غرسى
هكذا العبقري بين الجهالى
زعموا أنه مصاب بمس !

ولشاعرنا أسلوب سهل سائغ مستقيم البيان ، ولكنه يلجأ أحياناً الى الرمز كما ترى فى ذكرى شوقى وفي مقطوعته « البعث » التى يقول فيها :

سائلوا العشب الذى غنا به
كيف ماتت فوقه طير الامانى

كلما أرسلتها ... قاصدةً

هيكل الهاجر تشكو ما أعانى

أُوصد الباب ولم يحفل بها

وجفاها مثلما كان جفانى

فهوتْ من جوها واضطجعت

في سرير العشب خرساء اللسان

هاجرٌ كم صد عنه طائراً

تاه حتى جاءه طير تعانى

فتناسى التيه وارتد إلى

هيكلى ... فارتد روحى وجنانى

وتعانقنا وأحيينا الهوى

وبعثنا فى الهوى طير الأمانى !

وقد ألجأ الشاعر حنين العروبة إلى رثاء عاهل العرب العظيم فيصل الأول ، ودفعته الروح الوطنية إلى نظم قصيدته المتازة فى « مهرجان القرش » ، كما حدت به التأملات الفلسفية إلى نظم قصيدته الرائعة « السفينة الحائرة » ، ولكن الروح الغالبة عليه هي روح الفرح ونشوة الجمال وعبادته التى لا يعرف لها حداً ، وهذه يعبر عنها ألطف تعبير

في اغانيه المديعة المتكورة .

وسيتخاصم كثيرون حول هذا الشعر كما يتخاصمون حول غيره من الشعر العصري ، فليس لشاعرنا الا أن يذكر بيت أبي الطيب :

أنام ملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جرّاها ويختصم !

* * *

ان الروح الشعرية جوهر ، كما أن الموسيقى جوهر آخر وقد جمع صاحب هذا الديوان بينهما . واذا عاب بعض الجامدين عليه طائفةً من ألفاظه وتعابيره ، كما يعيبون على جميع الشعراء المجددين ، فعلى هؤلاء أن يذكروا أن أعلام الشعر العربي كالمتنبي وابي العلاء وابن الرومى كانوا أبعد الشعراء عن التقليد ، وقد طبع شعرهم بطابع شخصيتهم ، وقد أكسبته الأجيال حرمة بعد ما كان منتقداً في أزمنتهم وهذا هو البحترى برغم اشتهاره بتنميق الألفاظ لا يرضى عن جميع تعابيره جيلنا الحاضر بسبب تطور الأذواق تطوراً عظيماً في الصياغة اللفظية والموسيقى بله المعانى والمؤثرات . وما أغناني بكلمة إمرصن عن كل تفسير : « ان تجربة كل

جيل تحتاج إلى اعتراف جـديد ، وتلوح الدنيا دائماً في انتظار شاعرها » . . .

The experience of each age requires a new confession, and the world seams always waiting for its poet .

وهى خير تحية أزفها الى صديقي الشاعر صاحب هذا لديوان ؟

(ضاحية المطرية)
(في الثالث من ديسمبر سنة ١٩٣٣)



من الأدب الغربي :

الفقـــير

للشاعر الفرنسى

Alfred de Vigny

الفريد دى فيني

كلما طاف بالحيـــاة وجالا
شاهد اليأس لا يريم الرحالا
فاذا ناله الكلال من الرحـ
لة كف المسير والتجوالا
وانتهي للأراك يلتمس الظـ
ل ويدلي إلى الحياة الخيالا

سأل الكون هل عليه مجيبٌ
يسمع اللحن كي يردَّ السؤالا
ذلك اللحن شعلةٌ من لهيبٍ
زادها اليأس حرقةً واشتعالا

* * *

يلمح السائرين في كل دربٍ
مسرعي الخطو حوله أرسالا
شيعتهم عيناه واليأس فيها
يتجلى . . . ودمعه يتوالى
حرموه السماح والجود والنـ
ـوم فألوى وودع الآمالا
ما ارتجى بالعطاء غير فراشٍ
بعد سهدٍ يذيقه الاغفالا

ورغيفٍ يَقيهِ شرَّ مساء

كم طواه على الطَّوَى واستطالا

مَدّ في صدره الحزين يديه

يُخرج الناى يستعيد السؤالا

في توانى الشهيد من صَحْبِ عيسى

حمّلوه القيودَ والأغلالا

ثم زَجوه للمماتِ فكانت

خُطواتٍ له إليه ثقالا

* * *

وكأنَّ بلحية الشيخ .. تلهو

كلما جال في الصفير وصالا

عبقريٌّ .. وبؤسُهُ عبقريٌّ

أنجبتْه له الليالى الحبالَى

تلك أنفاسه على غير جدوًى

تتعالى وتُفعم الأوصـــالا

لا يرى حوله من الناس نفسا

عرفتْ أمره تردّ السؤالا

كلهم عابرٌ وكلٌّ جحودٌ

لم يقدّر صنيعَـهُ مثقـــالا



شعر الديوان

الهيكل المستباح

وَقفتْ بالباب في ثوبٍ رقيقْ

تفتح البابَ لقُطّاعِ الطريقْ

كم سَروقٍ نال منها جانباً

ومضى. . .ما أعجبَ اللص الطليق!

يا مضيفاً للذى حلّ به

واسعَ الصدرِ رحيباً لا يضيق

كيف بالله ترائيتَ لهم

باسم الثغر وفى النفس حريق؟

* * *

جئتُها فى ليلة فابتسمتْ

بسمةً تفترُّ عن حرِّ الشهيق!

ثم قالت: مرحبا يا مرحباً

بأخى اللذاتِ أهلا بالعشيق

ها هي الزهرة يا نحل الهوى

فاظفروا بالشهدِ وامتصُّوا الرحيقْ

واطرحوها زهرةً قد ذبلتْ

في ربيعٍ ناضرٍ غضٍّ وريق

* * *

زمهريرُ البرد يضني جَسداً

عارياً الاّ من الثوب الرقيق

جسداً لو يعبثُ النسمُ به

يتنزّى . . . كيف بالله يُطيق؟

جَعلتْ منه الليالى سلعةً

ما الليالى غير تُجّار رقيق!

عرّضوها فى طريقٍ شائكٍ

ترقُّبُ المبتاعَ من أهل الطريق

هكذا أحْيَ .. ولكن .. مرحباً

بأخي اللذاتِ أهلاً بالعشيقْ

* * *

أيها القومُ استبيحوا عفتي

واشربوا من ماء وجهي ما أُريقْ

يا أخا اللذاتِ أمعِنْ في الهوَى

واجترعْ من خمرِ جسمي ما أُذيق

دَنِّس الحسنَ الذي نُوِّتُ به

عانِق الهيكلَ والقدَّ الرشيق

لامِس النهدَ وجرِّدْ طهرَهُ

وتمتَّعْ بشفاهٍ من عقيق

هاتِ من سُمِّ المحيَّا قُبلةً

تتجرّى في خدودٍ كالشقيق

أوتمعن إن تشـ في أعينٍ
أرسلت من شعلةِ الحسن بريق
وانزع الثوبَ فهل يجدي . . . وقد
بات ثوبُ الطُهر يا صاح خليق ؟

* * *

فتأملتُ جمالاً ضائعاً
لاح من أنحائه قلبٌ سحيق
وتطلعتُ إليها لحظةً
فاذا الحسناء في صمتٍ عميق
عجباً ! لم ألقَ إلا جسداً
ذائباً في مرجلِ الدمع غريق
جسداً في ذلة يربطهُ
رابطٌ باليأسِ مشدودٌ وثيق

جسداً تبدو عليـه شقوة

ويرى في حومةِ البؤسِ المحيقْ

جسداً قد مات إلا نَفَساً

ردَّدَتْهُ من زفيرٍ وشهيق

* * *

وانقضى الليلُ . . . فناديتُ : أمَا

آنَ يا مرمى البلايا أن تُفيق ؟

فتحتْ فاها وقالت : مرحباً

بأخي اللذاتِ ! أهلاً بالعشيق

قلتُ لا أبغى متاعاً ليس لى

جنبيهِ ما أنا إلاّ صديق

خبريني يا ابنتي أنتِ التى

لقيتْ فى خدْرها ألفيْ عشيق

هل وجدتِ الرفقَ منهم ساعةً

هل وجدتِ الطاهر القلب الرفيقْ؟

* * *

يا إلهي . . . كيف أعددْتَ لها

بعدَ دنياها عذاباً . . . هل تطيق؟

أشقيٌّ الدهرِ يشقى بعدَهُ

وهْو بالرحمةِ في الأخرى خليق!؟



العيون الزرق

عينُ مَنْ يهواكَ تشتاق الكَرَى
قلبُ مَنْ يهواكَ يشدو بالحنينْ
هل رأيتَ الدمعَ من عيني جرى ؟
هل سمعتَ القلبَ مَوْصولَ الأنينْ ؟

* * *

ياشقيقَ الزهر والطير أمَا
ساءَلتْ نفسُكَ عنِّي أخَوَيْكْ ؟
أنا في روضكَ أرْويه بما
فاض من عطفي مَدَى العمر عليكْ !

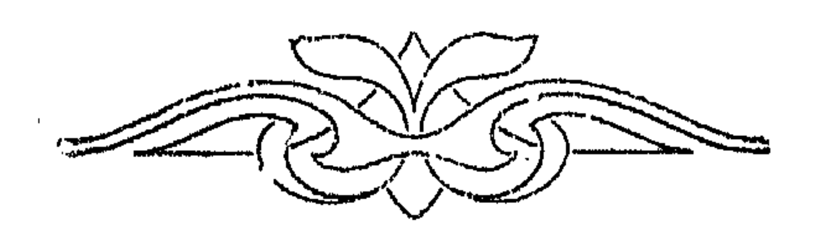
* * *

أزرعُ الآمالَ في روض هواكْ
وأُرَوِّيها بدمعي ودَمِي !

فإذا ماعُدْتُ ألفيتُ نواكْ
في ثنايا الروض يبني مأتمي !

* * *

أيها الهاجر من غير سَبَبْ
لو تجافى . . . انا راضٍ بجفاكْ
العيون الزُرْقُ والشَّعر الذَهب
ألجأني ياحبيبي لِهواكْ



الحسناء الباكية

كَشَفَتْ للهِ حُزْنًا صدرَها

غادةٌ هيفاءُ تشكو أمرَها

في أنينٍ سَرْمَدِيّ خافتٍ

يخلعُ النفسَ وينضُو صبْرَها

بعثتْهُ يتشكّى قدَراً

لم تجِدْ في صرفِهِ ما سرَّها

هذه الأنّاتُ رقّتْ كالصّبا

وسَرَتْ في الليل تروي سِرَّها

* * *

خيّمَ الليلُ على دُنيا الكَرَى

وطوى الأجفانَ في الليل الهجوعْ

غير جفنٍ يتمنّى غائباً

ماله يوماً الى الدنيا رجوع

لا تراه الليلَ إلاّ ساهداً
يتأسّى عن هواه بالدموعْ
يطفئُ الشوق فتذْكى نارُهُ
كلما أنْ جدّ للذكرَى نُزوع

* * *

يحسدُ الموتى شجيٌّ ساهر
قرّحَ الجفن بدمعٍ لايغيبْ
هــذه الحسناءُ شابتْ رُوحُها
فى فنونِ الحزْنِ من قبلِ المشيبْ
وَقفتْ تستفسر الليل : أَمَا
آنَ ياليلُ عن الدنيا المغيبْ؟
طالمــــا ياليل عالجتُ الهوَى
فى مجالِسِكَ وعانقتُ الحبيبْ

ذكرياتٌ من عهودٍ قد خلتْ
لم تزلْ ترتادُ جوفَ الذاكرهْ
إرثُها اليومَ محبٌّ يشتكي
وحبيبٌ ناعمٌ في الآخره
لم ياليلُ عيونٌ لم تذُقْ
لوعة السهد وأخرى ساهره ؟
لم ياليلُ نفوسٌ تجتلى
لذة الدنيا وأخرى حائره ؟

* * *

حرّكَ الحسناءَ في صمتِ الدُجى
همساتٌ رُدِّدَتْ في صومعه
هي أنّاتُ فؤادي المتلي
بشجى الدنيا ونفسي المترعهْ

هى نَجوى الروحِ من عُزلته
يَتناغى والذى يبكى معه
هى هزاتُ خيالٍ ناضرٍ
قد سقاهُ الدمعُ حتى أينعه

* * *

فتناسَت ما بها من شقوةٍ
لحظةً اذ أَرهفت لى أُذُنيها
وسمعت ليلاً الى صومعةٍ
عبثُ الأيامِ أَلجانى إليها
وأقمنا الليلَ فى الشكوى .. وقد
قلتُ ما عندى وقالت ما لديها
فتحيرتُ وحارت أَدمعى
أَعلى بلواى تبكى أم عليها ؟!

في موقف الذكرى

«ألقيت في حفلة الذكرى الاولى لوفاة المغفور له شوقي بك»

«بمسرح رمسيس»

مِنْ سماء الخلود أسمعُ حيا
ردّدَ اللحنَ في السماء شجيا
شاعرُ الخلدِ يطرب الله في الأُخْ
رى بلحن لم يَخفَ عن أُذْنيّا
قلتُ لما سمعتُهُ: يا إلهي
قد سمعنا ندًّا له في الدنيا
فأجاب الإلهُ بي: ذاك شوقي
يقرأ الشعرَ في السماء عليّا

* * *

قلتُ لكنْ جنى المماتُ عليه
وهو فيما يقول لم يجنِ شيا

قال ربي : إن الممات وفاء
تلك عاريتي ورُدّت إليّا
أرسل الناس في الحياة وأزجي
رسلَ الموت خلفهم تتهيأ
فاذا نادت المنيـة خفّت
لنـداها النفوس حيًّا فحيًّا

كلكم سائرٌ إلى الموت يوما
ليس منكم مخلـدٌ يا بنيّا
ومن النـاس ميتٌ في حياةٍ
ومن النـاس من يموت ليحيـا

* * *

نحن نجري الدموع في موقف الذكـ
ـرى ونبكيك شاعراً عبقريا

إنْ يَكُ اللهُ عزَّز النَّثرَ يوماً

بكتابٍ قـــد أعجزَ العربيا

أنتَ أعجزتَ دولةَ الضَّادِ في الشِّـ

ـعرِ وسُقتَ العزيزَ منها سبيّا

سِرْتُ بين القبور يا مصر والدمْـ

ـعُ سَكوبٌ مُعذِّبٌ عينيّا

وتبينتُ بينها جدثَ الشِّـ

ـعْرِ يواري شعاعَهُ القدسيّا

فسكبت الدموعَ عن مصر والشَّـ

ـرْقِ فقدْ عانيا المصابَ سويّا

قلتُ يا ساكنَ الجِنانِ أما مِنْـ

ـكَ إلينا شوقيةٌ تتهيّا ؟

كم سعينا إلى التراب حثيثاً

واستمعْنا إلى الرفاتِ مليّا

فرأينا السكونَ يمشي على القبْـ

ـرِ كأن المكان بات خليّا

فسألناك هل نسيتَ هوَى النيـ

ـلِ وكنتَ المولّهَ المشجيا؟

فأجابتْ نداءنا نَفَثاتٌ

من سماء النُّهى وجوِّ الثريّا

هو ما زال في غرامِكِ يا مصـ

ـرُ يعاني من الشجون العتيا

ولو أن الآذانَ تُرهفُ للخلْـ

ـدِ لألْفَتْ حنينه السرمديا

* * *

فاتجهنا إلى الخلود حيارَى

نسأل الطيرَ لحنَهُ العبقريا

فامحنا في جوّه روحَ شوقٍ
تَعِساً يائساً حزيناً شقيا
فهتفنا : يا ساكن الخُلدِ غرِّدْ
فأجابَ : البكاء أرضى إليّا
« وطني لو شُغلتُ بالخلد عنه »
لتمنّيتُ أن يُردَّ عليا
كيف أسلو وقد تركتُ حُسيْناً
في حماه ؟ وكيف أنسى عليا ؟
كيف أسلوكِ جنةَ الله في الأرْ
ضِ وأنتِ التي رعيت بَنيا
قد رضعتُ الحنان منك وليداً
فعرفتُ الغرامَ فيك صبياً
وتفانيتُ في الهوى أو تناهيـ
ـتُ وإن لم يزلْ غرامكِ حياً

أنا يامصر كم أحنُّ إلى النيـ

ـل وماءٍ به حبيب لديّا

كم حملت اليراع تحتَ ظلال

كنتُ فى كرمة الهوى أتقيا

وقطعتُ الزمان أكتبُ ما يو

حى وما يبعثُ الغرام إليّا

أنا يا مصر لا أحيد عنَ العهـ

ـد ولكنْ ارَى القضاء عتيا

* * *

لاح منك الوفاء ياشاعر الشر

ق يُروّى غرامك الأبديا

كفّنتكَ الحياة في سُحب الخلد

فلم تحجب الشعاع السنيا

أسباب الرّدى وما كنت يا شو

قى لغير الجمال يوماً سبيّا؟

***

انا فى مصر سامعٌ لوعةَ الشر

ق ودارٍ بمهجتيه الدويا

يذرفون الدموع فى مأتم اللي

ل وفى مأتم النهار سويا

ويذوبون حسرةً والتياعاً

كلما يسمعون عنك الرويا

شاعرَ الشرق إن عرشك خاوٍ

لم يهيء له الزمان وليا



الكون

أىُّ ليلٍ فيكِ من أنجُمه
كوكبٌ يسطع فى ليل حياتى
أيُّ غصنٍ فيك من أطياره
بلبل فى الفم حلو النغماتِ
أى ديرٍ فيك من سُكانه
كاهنٌ فى العين يدعو للصلاة
أى شمسٍ فيك من مغربها
شفقٌ ملتهب فى الوجنات
أي شرق فيك من فتنته
ساحرٌ فى الثغر عذب القبلات
أى جو فيك من أطيافه
زرقةٌ تعلو العيون الفاتنات

أي روضٍ فيك من افنّـانه

خفـة الظل وطيب النسماتِ

أى ربٍّ فيك من آلائه

أن تردّ الروح للجسم المواتِ



البعث

سائلوا العشب الذى غنا به

كيف ماتت فوقه طير الأمانى

كلما أرسلتها . . . قاصدة

هيكل الهاجر تشكو ما أعانى

أوصد الباب ولم يحفل بها

وجفاها مثلما كان جفانى

فهوت من جوها واضطجعت

في سرير العشب خرساء اللسان

هاجر كم صد عنه طائراً

تاه حتى جاءه طير نعانى

فتناسى التيه وارتد إلى

هيكلي . . فارتد روحى وجنانى

وتعانقنا وأحيينا الهوى

وبعثنا فى الهوى طير الأمانى

الى ليلى الجديدة

— ١ —

عَجِبتُ .. ومَنْ منك لا يعجبُ ؟
أُقاسى العذابَ واستعذبُ
وهل دفعَتنى لحمل الصبابة
إلاّ عيونُك يا زينبُ !
أرى فى عيونك صفْوَ السماء
يلوح بانسانها كوكبُ
وفيه ملائكةُ السِّحر تلهو
وفيه جنون الهوى يلعبُ

* * *

كأنَّكِ « ليلى » رأَتْ شاعراً
على النِّيل عذَّبهُ الغَيْهَبُ

يلوحُ على ناظريْهِ الجنون

وفي صدره الأملُ المتعَبُ

أنا «قيْسُكِ» العاشقُ المستباح

ومجنونكِ الشاعر المنجبُ

عشقتُ بكِ الجسدَ العبقريّ

وليس وراء الهوى مأربُ

كمن يشهدُ الخمر في كأسها

فيثمل منها... ولا يشربُ

* * *

صبوتُ إلى السير بين القبور

ففيها لأهل الهوى مَهْرَبُ

ورُحتُ أُناجي ضحايا الغرام

وأسكب دمعي على من صبوْا

وقلتُ أمَا آنَ وقتُ الرقاد
وأيّانَ يا جَدَثُ المغربُ
فأنت المصيرُ لمن عَذّبوا
وأنتَ المجيرُ لمنْ عُذِّبوا !

* * *

شهدتُ دموعكِ فوق الخدود
فياليتنى دمعةٌ تُسكَبُ
فإِنّى رأيتُ ثُغورَ الدموعِ
تُقَبّلُ خدّيْكِ يا زينبُ !

* * *

إذَا ذَهَبَتْ بالحياة القبورُ
فإِنّ غرامكِ لا يذهبُ
ويَبقى جمالكِ فى الخالدين
ويَفنَى المتَيَّم والمعجَبُ

رسالة الحب

كتمتُ هواكِ فلم تعرفى

وحدّثتُ عنه فلم تعطفى

فحكمتُ قلبكِ بينى وبينكِ

لكنْ حكمتِ فلم تُنصفى

* * *

رأيتُ الألوهةَ فى ناظريكِ

تلوح خلال الجلال الخفى

فأسرفتُ فى صلواتى اليكِ

فما لِنتِ للعابد المسرف

وعاتبنى الناسُ لما عبدتُكِ

إلا الذى بات فى موقفى

* * *

أعللُ نفسي بلقيـــا الممات
لألقىَ بالأملِ الأجوفِ
فانَّ دى شعلةٌ من فؤادي
تطوف بجسمى ولا تنطفى
إذا اتقدتْ بقيتْ فى الضلوع
وإن خمدت فيه تُستنزَف
فانْ شئتِ فيه رحمةً فاهدريه
وإنْ شئتِ لي السقمَ فاستنكفى

***

أحبكِ لا للعناق . فإنى
أخاف على قَدِّكِ المرهف
ولا اللثمِ .. إنى أخاف عليكِ
من النفس المحرِق المتلف

ولكنْ أحبكِ كالوَثَنِّ
وأزهدُ فيكِ وانْ تُسرفي
وأحمـــل بين صحائف قلبي
رسالةَ حبك كالمصحفِ



اخفاق الشعاع

دمعة على فيصل

هل رأيتم فجيعةَ الآفاقِ
كيف أودَتْ بأدمُعِ الآماقِ؟
هل شهدتُم أُفولَ نجم المعالي؟
هل سمعتم نحيبَ أهل العراق؟

* * *

ياملِيكَ العراقِ ذكرك في الدَّهْ
رِ فأنَّى نأيْتَ فالمجدُ باق
يارسولَ السلامِ والعدْلِ في الشرْ
قِ ورمزَ الوفاءِ في الآفاق
قَدْ ولكَ الأمورُ في حلكةِ الليْ
لِ فأخرجْتَهم إلى الاشراقِ

واشتكوا قسوة الوثاق على الشعـ

ـبِ تخلفته طليق الوثاقِ

وفضضت القيد الذي أحكمته

في يد الشعب دولة الارهاق

وأنرت العراق بالعدل والعـ

ـلم وأعليت دولة الأخلاق

* * *

أين كان العراق؟ كان غريقاً

في محيط الظلام للأعناق

كان شعباً مستعبداً يتلظّى

في إسارِ القيود والاطواقِ

كان شعباً لها بنوه وراحوا

شِيَعاً في تنابذٍ وشقاق

أين أضحى العراق؟ أضحى سماءً
دِينٍ ضياءٍ وحكمةٍ وائتلاقِ
أَضْحَت الأمّة الجهولةُ مجرًى
لرحيق العلوم حُلْوَ المذاقِ
أَصْبَحَت أمةُ البداوة روضاً
مونقَ الزهر ناضرَ الأوراقِ
أصبحت أمة التنابذ روحاً
في ائتلافٍ وعصبةً في وفاق

* * *

سلْ رواقاً على « جنيفَ » بَنُوه
كيف حلّ العراق بين الرواقِ
بعد أنْ كان في الاسار ذليلاً
خافض الرأس دائم الاطراق؟

كيف بات الأسيرُ والآسر يافي
صل نِدَّينِ أو كبعض الرفاق ؟
يهتف الهاتف المجاوب عنه
لم يَنَلْهُ قسراً ولا عن نفاقِ
رُبَّ فوزٍ يُنال بالحزم والحـ
ـزْم وما نِيل بالدم المهراق

* * *

جُزْتَ يا فيصل العظيم بنهريـ
ـك لأعلى ما أمّلا من مراقِ
وتركت العراق وهْوَ بحقٍ
أمّةٌ حيّةٌ وشعبٌ راق

* * *

نَمْ على عرشك الأخير قريراً
يا أبا الشبل إنّ شبلك باقِ

رحمة الله لا تفارق بابا
لشعار العروبة الخفاق

إلهى

ما رونقُ البدر إلاَّ أشعةٌ من عُيونك
ما سحْرُ هاروتَ إلاَّ إشارةٌ من جفونك
هديتِني لإلهى فنورُه في جبينك
وحيرتى فيه بعضٌ من حيرتى في شؤونك
وأنتِ سرٌّ وجودى فكيف أحيا بدونك



مهرجان القرش

«هذه القصيدة نالت الجائزة الأولى بمسابقة الشعر فى مهرجان مشروع القرش سنة ١٩٣٣ وكان المحكمون : الدكتور طه حسين والأساتذة العقاد : والمازنى . والهراوى . وأنطون الجميل »

هتف الداعى فقُمنا هاتفينْ

نُسمعُ الآباءَ صيحاتِ البنينْ

وتنادينا بسكانِ الحمى

ودعوناهم إلى الحق المبينْ

وأتينا نحمل النورَ إلى

من قضوا فى ظُلمة الليل السنينْ

فروينا نبأ القرش فما

منع الممسكُ أو ضنَّ الضنينْ

نحن شِدْنا مهرجانًا حافلا
وحففناه بألوان المجونْ
ونشرنا فيه أعلام الهدَى
وعرضنا فيه آياتِ الفنون
وكسونا بالرياحين الرُّبَى
فتبدَّتْ فتنةً للناظرينْ
وتغنينا بلحنٍ خالدٍ
وملأنا الجوَّ بالشعر الرصين
ورددناها عليكم جنة
فادخلوها بسلام آمنين!

***

لستُ أنسى فى حياتي ليلةً
توجَ الدهرُ بها هامَ السنين

حين قام النيلُ من غفوته
ينشرُ العزةَ فوق العالمينّ
قد بعثنا الشعب من رقدته
وفضضنا عنه أغلال السجين
وصرخنا فيه : لا زالت بنا
ذكرياتُ المجد تجرى في الوتين
جدْ بهذا القرش تبعثْ أمةً
كاد يفنيها سباتُ الغافلين
جدْ بهذا القرش تبعث مجدها
طال بالوادى إلى المجد الحنين
هى مصر بنت فرعون الذى
حكم الدنيا وساد المالكين
والتى استولى عزيزوها على
صولجان الدهرِ والدهرُ جنين

مالتْ الأُركانُ إلاّ هيكلٌ

وُطدَت أركانهُ فى «عابدينْ»

وَبهْ ما زال في عِزته

يستعيد المجدَ من حين لحين

أنصفوا التاريخ فى تاريخه

وانقشوا ذكراه بين الخالدين

***

يا «عَليا» عونكَ اللهُ .. وما

خابَ مَنْ بالله يوماً يستعينْ

أنشىءْ المصنعَ وافتحْ بابهُ

واقتل العُطْل وَآوِ العاطلين

يا أمير الطب، فى أعناقهم

عائلات من بنات وبنين

مَرَضُ الأزمة أمسى عندهم

مُزمِناً والقلب موصول الأنين

خَفَّفَ الوطأةَ عنهم، طالما

هزَّكَ العطفُ عليهم والحنين

يا بنى مصر ... أجيبوا داعيا

جاءكم بالنبأ الحق اليقين

إن هذا القرش سيفٌ أغلبٌ

لم يُسخَّر للكماة الفاتحين

إن هذا القرشَ فى خِفَّته

حجر البنَّاء للحصن الحصين

قدِّمـوه تبلغوا استقلالكم

إن الاستقلالَ بالمالِ رهين

والبسوا التيجان من مصنعكم

تشهدوا العزة فى كل جبين

الى طيف الشاعرة الحسناء

أسدَلَ الليلُ على مَنْ عذلكْ

ستره الداجي وأوفَى لى ولك

كم شكوتُ الليل حتى ليلةً

قلتُ فيها يا دُجى ما أجملكْ

ليلةً شاهدتُ فيها ساعدى

ضمَّ جنبيكَ وثغري قبَّلكْ

* * *

أنتَ تنزيلٌ من السحر على

عَالم الشعر (أپولو) أنزلك

يا رسول الحسن ما أرواحنا

غير قُربانٍ يُغذى هيكلكْ

الايام ..!

تهت يا صب فجاءت
تذكر العهد لديك
وتجنيت فألقت
قلبها بين يديك
كيف بالله يذل الحـ
ـسن يا قلبي إليك ؟
هكذا الايام ... يوم
لك والثاني عليك



على ضفاف الزمالك

أظلمَ الأفْق من سماء الزمالكْ
وطوت نورَهُ الليالى الحوالكْ

وإنثني الزورق السبوح بصبٍّ
يتمنّى لقيا الحبيب هنالكْ

وهفت بي سفينة الفكر حتى
لاح خاف الهزيع طيف خيالكْ

إنه الطيف سلوة المتمنّي
وعزاء المعذّب المتهالكْ

والذى يخلع الحياة على الحـ
ـب ويجني الصدود يُرضيه ذلكْ

***

أقبل الطيف في الدجى يتهادى
فى جلال الجمال.. أى فى جلالكْ

والسكون الرهيب مُرخٍ ستاراً

يحجب الوصل عن ضنى عُذالك

خبّريني مَن أحبه يا ليالي

ماجنى الصب من سهاد طوالك

صبوة الحسن في فؤاد (جميل)[1]

وجلال الخشوع في قلب (مالك)

وجوى الشوق في جوانح (قيس)

إذ نفاه الرقاد والليل حالك

إنه الحسن من أضاع حجاه

ورمى قلبه فضلَّ المسالك

هل شهدت المأساة يا خدنَ (ليلى)

قد جرى ذكرها على أثوالك؟

***

---

(١) جميل بثينة الشاعر المفتون

أنت أقصى الآمال عندى فقل

يا حبيبي ما منتهي آمالك ؟

أنت ملء النهار والليل فى الفـ

ـكر فهلاّ خطرتُ يوماً ببالك

خمرةُ الحسن أنتَ فارو فؤادى

طال سعْيي إليكَ قصدَ انتهالك!

***

أيُّهذا الجمال سوف تُولّى

وقريبا يحل يومُ زوالك !

فاختلس فرصة الشبابِ ومتّعْ

ياحبيبي أهل الهوى بوصالك

سوف يمضى الجمال يوما فتمضى

تتأسى بذكريات جمالك

جبروت !

أودعتكَ القلبَ فاحذرْ أخافُ أن يتكسرْ
خفِّف عليه التجنى كسرُ الهوى ليس يُجبَر
يا مستبيحَ شبابٍ من النضارة أنضر
ويا مُذلَّ فؤادٍ من التكبر أكبر
غيرْتَ مجرَى حياتى وأنت لم تتغير
عيونكَ الزُرق نامت ممَنْ مدى الليل يسهر
طوَتْ جفونُك معنى للظلمْ يُطوَى ويُنشر
وكلما بِتُّ أشكو تقول : أنتَ المخيَّر !
يا أكبر الناس حُسناً لاتطغَ .. فالله أكبر !



الشارد

أيها الشارد عن وكر الهوى
قد عفا مِن بعدك القلب وذابْ
كنتُ لا أسمع إلا بلبــلا
فاذا الشادى على الأيك غراب
كنتُ لا أشرب إلا خمرةً
فى كؤوس قد مُلئن اليوم صاب
كنتَ لى يا تاركى فى لوعتى
أنتَ والألحانُ والكأس طِلاب

***

قد عرفنا أنَّ آلام الهوى
تقتل العشاق لكنْ تُستطاب!
فلعمرى ما الذى أودى بنا
أعذابُ الحب أم حب العذاب؟

لك شعرٌ ذهبيٌّ ساحرٌ

ضاع في موجاته قلبي وذاب

لكَ خدّان تجرّت فيهما

حُمرةٌ تنسابُ من قلبي المذاب

والعيون الزُرْق من فوقهما

رائحات.. غاديات.. كالسحاب

***

حين قالوا إن آلام الفتى

ليس يفنيها من الدهر الذهاب

خفتُ هذا العيش أن يمضي بنا

أو يعيد الشيب أهوال الشباب

مُشفقاً بالصب من آلامه

أن يُضيعَ العمرَ في هذا العذاب

المهزلة الكبرى

صاحِ أنا الركبَ عن وادي الحزنْ
واطرح العمر ولا تنع الزمنْ
والتمسْ للركب مهجور السننْ
وامضِ في وادٍ من الانس خلا
وانزوى عن أعين الناس وغاب

***

غنِّني أنشودة الوادي الوسيعْ
حيث لا أسمعُ للدنيا رجيعْ
ثم جفِّف ساعةً جفني الدميع
واردِ نُوقَ الحزن واهتفْ حيهلا
يا كراز السحر يا كأس الشرابْ

***

إرْدِها ترجع إلى الدنيـــا التي
ضيعتني . . وإستحلت قتلتي

وانفِ بالرحلة ذِكرَى عِلّتي
وانسِني الدُّنيا وبلواها ولا
تترك الذكرَى على قلبي المذابْ

* * *

طُفْ بوادي الموتِ واشهدْ مِن أَمَمْ
موميا اليأس وجثمان الأَلمْ
إنّ حَقّ العيش في وادي العَدمْ
وحيـاةُ الدهر زَيْفٌ وطِلاَ
وهي للمغرور والأعمَى طِلابْ

* * *

هاهي الجنّةُ تدعونا لهـا
فتعالَ اليومَ نسبرْ أهلهـا

فُتحَ البابُ ... فسجّلْ ... علّها

تنطوي بيضُ ثناياها عليَ

معشرٍ من شقوة الدنيا غِضابْ

* * *

عِشتُها عشرين عاماً بآتِها

شَبَحُ العفّةِ يشكو موتَها

فسل الفردوس من أين انتهَى

ساكنوه ... والذي قبلِي تلاً

ان ذا العالَم في الآثام شابْ

* * *

عجباً واللهِ يا أهل التُّقَى

لم أفُزْ في الدهر منكم باللقا

هل هجرتم يومَ نوح الزورقا
وعبرتُم عالَمَ الغدْر إلى
منزلِ الفردوْسِ قُدْسيِّ الجنابْ ؟

* * *

وتركْتم في الحياة الفانيهْ
مُقلةً تبْكي ونفساً عانيهْ
وانتقلتم للحياة الثانيهْ
دون أنْ تدْعُوا الجريح الأعزلا
عند وادٍ يتَّقي فيه الحرابْ

* * *

وَيْ ! أرَى الجنّةَ تحكي العالَما
فهُنَا حورٌ مليحات اللتي

وسميرٌ في سُلافٍ نادَما

وحبيبٌ ما رأينا أجملا

منه بين الناس في العيد السكعابْ

* * *

ما تجنّى ذات يومٍ أو أبى

قُبلةً في الدهر عزّتْ مطلبا

ما أضلَّ الناسَ يهوون الصِّبا

ويقولون عن الموت البِلى

وهو عهدٌ دونه زهر الشبابْ

* * *

وهُنا خمرٌ وسكرٌ وقدَحْ

وهُنا لهوٌ ورَقصٌ ومرَحْ

ونموسٌ قَدْ تناسَاهَا التَّرَحْ

وتناسَتهُ وطابتْ مِقْولاَ

وتَغَنَّتْ بالأناشيد العِذَابْ

* * *

وهنا الألحانُ هزّتْ (مَعبدًا)

فَصَحَا يبْكي على ما أنْشدَا

وهنا الانسان أمسى وغَدَا

في مراعي لهوهِ واسترسلا

يسبر اللذّات من غير حسابْ

* * *

والذي أودَى بسُكّان الجحيمْ

هو ما أمسَى ثوابًا في النعيمْ!

حكمةٌ كم حيّرتْ عقلَ الحكيمْ

غمرتْ بالشكِّ أذهانَ الملا

أيكون الذنبُ في الأخرى ثوابْ !؟

* * *

لا إخالُ الكون إلا مهزلهْ

في تجاليدِ كتابٍ مُنْزَلهْ

ذات دورٍ كلنا قدْ مثلهْ

نصفهُ في الدهر والنصف على

مسرحٍ نُلْقَى به يوم المآبْ !

مجنـــون

قد سئمتُ الغباء في مصر حتى

لا أطيق الحديث من فرط يأسى

مَنْ رآنى علي الحياة وَحيداً

غارقاً في محيط نجوّي وهمسِ

قالَ مَنْ أنتَ ... قلْتُ إني غريبْ

قالَ حَدّثتَ ! قلْتُ حَدّثتُ نفسى

جَهِلَ الناسُ ما أقول .. وقالوا

ما أراهُ مُضَيّعاً طِيبَ غرسي

هكذا العبقريُّ بين الجهالى

زعموا أنهُ مصابٌ بمسِّ

حياة ثانية

أيُّ نُورٍ ألقَى عليّ غرامي
فاشتريت الآمالَ بالآلام

كان ذا القلب عصبةً من جراحٍ
تتنزّى في هيكلٍ من حطامِ

كان ذا الجسم هيكلاً من عذابٍ
وشجونٍ ولوعةٍ وضرام

كان ذا الطرف منهلاً سرمدياً
يغمر الروحَ بالدموع الدوامي

كُنْتُ واللهِ في شَبابيَ شيخاً
لاحَ للناس في مُسُوحِ غلام

* * *

كان ذا الشّعر غُنوةَ اليأس في القَلْ

بِ ونايًا أنمي بهِ أحلامي

كُنْتُ لا أعرف التَبَسُّمَ حتى

عَوَّدَتْني المنَى ابتذالَ ابتسامي

شفتايَ الحزينتان وقلْبي

وعيوني مَدينةٌ لغرامي

* * *

كم تمنَّيْتُ في بعادك طيفًا

أحسبُ الطيف مُبرئي من سقامي

فإذا بي بعد الوصال سقيمٌ

شارد اللب تائه الأحلام

واذا بي بعد الرضا والتداني

طمعٌ فوق أن أراكِ أمامي !

عالَمٌ أنتِ مِنْ سماءِ جمالٍ

وجلالٍ وفتنةٍ وسَلام

فيكِ أمرٌ فوق الجمالِ سيبقى

أبَد الدهر حيرةَ الأيام

بتُّ لا أعرفُ النهار من الليـ

ـلِ فمنكِ السَّنا وعنكِ ظلامي

أكبر الظن أنتِ طيفُ إلَهٍ

عبقريٌّ في عالَمٍ مُتسامي

صِيغَ من فتنةٍ وسحرٍ ونُورٍ

وشعورٍ ورقّةٍ وهيام

فيكِ سحرٌ من السذاجة والطهْ
رِ يمدُّ الشعور بالالهامِ
قد هجرْتُ الكروم والحان والسا
قي ورجْع الكؤوس والأنغام
وسئمتُ الحياة إلاّ خيالا
وعشقتُ الحياة بالأوهام
نتساقى بها الكؤوس من السِّحـ
ـر ونحيا في روضة الأحلام
حيث طير الخيال فيها تناغَي
برقيق الهوى وعذب الكلام
والأزاهير حولنا تتثنَّى
راقصاتٍ بغيرِ جرحٍ دوامي

وخريرِ الجمال يا منبع الحسْ

ن يُرَوِّي صدَى فؤادي الظامي

كل شيء حتى الأنين أراهُ

مُستحبًّا مُوَقَّع الأنغام

فادركيني هنيهةً للتأسِّي

بالهوى عن جريمة الأيام

* * *

اشربي الكأس واتركي لىَ فيها

قبلةً تستقرُّ بين عظامى

قبل ما يخطر النسيم فيمضى

بأماني الهوى ويذرو حطامى

الجسد العبقرى

« على شاطىء ستانلى باى »

عبقريٌّ أنتَ في كل نُتوء وثَنِيَّة

عبقريٌّ أنتَ أوحيتَ لِشعري العبقريه

نُور عينيك انتقام الله من دنياً شقيه

سوف يفنيها ... وتبقَى ناره في الأَبديّه

وعلى فرعك أطياف الأَصيل العسجديه

ذهبيٌّ حَرَمَ القَلْبَ الأَماني الذّهبيه

* * *

لست أنسى لحظة الصيف وما جرّتْ عَليّه

لحظَةً بين غواني الماء في الاسكندريه

إذ تجرّدْتَ وأبقيتَ من الثوب بقيه

حدّثتْ عما طوته من ثنايا قُدُسيه

كابتسام الطفل كم حدّث عن حُسن الطويه

* * *

لِمَ حرّمتَ على عيني نواحيكَ الخفيه

أنتَ إلهامى ومعناي ووحْيُ الشاعريه

وأنا الزاهد فيما طمعتْ فيه البريّه



الى الله

« من رسالة طويلة »

. . . .

ويا إلٰهي . . . بعيدٌ عليَّ نقضُ يمينكْ
لكنَّ قومى يودو نَ أنْ أدينَ بدينكْ
وأن أعيش جهولاً بما اختفى من شؤونكْ
وطىَّ نفسى سؤال محيِّر في فنونكْ
كتمتُه الناسَ لكنْ لمْ يحتجبْ عن عيونكْ
فاكشف غياهب شكى بلمحةٍ من يقينكْ

ظمآن

أَجَلْ ! ظمآنُ يا ليلَي وماء الحب في نهرِكْ
خذيني في ذراعيكِ وضُميني إلى صدركْ
دعيني أشرب النور الذي ينساب من شَعركْ
وروي لهفة الظمآن بالقبلة من ثغركْ
هبي لي ليلةً أَثملُ يا ليلاي من خمركْ

* * *

تقولين جمعتَ السحر يا ظمآن في شِعركْ
وأَنتِ قصيدتي الكبرى وهذا الشعر من سحركْ
أيا ليلي رأَيتُ القلبَ لا يسأم من ذكركْ
خيالٌ أَنتِ في فكري فهلاّ جُلْتُ في فكركْ

كأني راهب الفتنة يستشهد في ديرك

وقد يشرك بالله . . . وبالفتنة لا يشرك

على أني عرفت الله لكن حرت في أمرك

※ ※ ※

أجل ! ظمآن يا ليلى وماء الحب في نهرك !

اللقاء الحاسم

أنت دنيا ومن يحبك أخرى

في سرير القبور يلتقيان

بين هاتين فترة من سبات

تجمع اليأس والمنى في مكان

أكذوبة الموت

قد حِرتُ في الموت وفي أمرِهِ

وما زواه اللهُ مِنْ سِرِهِ

وكلما ساءلتُ عنه امرءاً

أجابني : والله لم أدْرِهِ !

وقالت الأديان : إنّ الردى

هو انتهاء المرء من دهره

ورادع المعن في زيغه

وركْب ذي التقوَى إلى أجره

قد يترك المفروغَ من شأنه

ويلحق المولودَ في فَجره

وينكر التاجَ على عاهل
تُخضعه الوحشة فى قبره
ويطرق البابَ على خائف
ويُرعد الآمنَ فى خدره
ويُنزل الطائرَ فوق السُّهَا
لموطئ الأقدام من غيره
حيث تردُّ المرءَ أعمالُه
وينظر الملكانِ فى أمره
يحاسبان المرءَ فى قبره
عما أتاه المرءُ فى دهره
فيُحسن الله جزاءَ الذى
أحسن فى الدنيا الى غيره

وينشر النور على لحده
ويجعل الريحانَ من نشره

ويعصر الله رفات الذى
قد ملأَ العالَمَ من شرّه

فى جَدَث مُستوحش حالكٍ
أضيَقُ بالعصفور من وكره

والروح إمّا حَلّ فى غيره
أو آثر الإخلاد فى بئره

فلِمْ يقول الناس مات امرؤٌ
إن هجر الدنيا الى قبره ؟

أليس فى القبر حياة امرىءٍ
تطول بالمرء إلى حشره ؟

* * *

وقيل : ان الروحَ فى رجعةٍ

من نفخِ إسرافيل في صورهِ

حيث يجازَى الناسُ من ربهم

كلٌّ بما استأهل من أجره

وحيث تعلو هامةُ المتّقي

ويُغلَبُ الباغى على أمرِ

* * *

المرء يحيا دهره « أوّلاً »

ثم « يثنّى » العيش فى قبرِ

ثم يُتم « الوتر » فى جَنَّةٍ

أو فى جحيم منتهى وترهِ

والعيش في الدهر قصير المدَى

كلحظةٍ تُقْتَطعُ من عمره

فكيف قالوا إنه ميّتٌ
من يوم أن غُيّبَ عن دهر

وليس بعد رِحلتيهْ سوى
جديد عيشٍ دبّ في إثْره[1]

لا قال بالموتِ سوى كافرٍ
يكذّبُ الأديانَ من كفره

مواهب!

قد قسّمَ الله كنز العقلِ من أزلٍ
هل كان في كفّهِ إذ ذاكَ مقياسُ

كم قال غيري كلاماً لست أفهمه
وبتُّ أكتبُ ما لا يفهم النّاس

---

(١) الرحلة الأولى من الدنيا إلى القبر والثانية من القبر إلى الحشر (الجنة أو النار) الذى يلقى فيه الأنسان حياة جديدة .

الوداع الأخير

أغداً يا هاجري موعدُنا ؟

ردّتْ الموعدَ أيامي عليكْ !

ها أنا الساعةَ في مُنعزَلي

أُسْلِمُ الروحَ وأُزْجيها اليكْ

كم تمنّيتُ إذا أَسْلَمتُها

لو أتتْ خاتمتي بين يديكْ

يا ضنيناً باللقا .. حتّى اللقا

ساعةَ الموت من الحرمان ؟ ويْكْ !

أيها القاتل إنّي مُشفِقٌ

لكَ — إنْ تلقَ الردى — مِن ملكيكْ !

* * *

بيَ أوجاعٌ قد استعصتْ على

حكمة الآسي.. وما استعصت عليكْ

في سرير الموت جسمٌ دارسٌ

ذو فؤادٍ ذائبٍ من ناظريكْ

أيها القلبُ ... سألقى خالقي

ما جوابي إنْ يسَلْ عن قاتليكْ؟

* * *

لستُ بالخائف في أخراي من

لهبٍ ألفيته برداً لديكْ

كنتُ في الدنيا مجوسيّاً صبّا

للهيبٍ مُوقَدٍ في وجنتيكْ

لكأني كنتُ مثلوجاً.. وكم

أدفأتني قُبلةٌ من شفتيكْ!

يا شقيقَ الزهر والطير . . . أمّا

سادلَتْ نفسُكَ عنّي أخويْكْ

أنا في روضك أرْويه بما

فاض من دمعي مَدَى العمر عليكْ

في سرير الموت اغْفَى شاعرٌ

عبقريٌّ . . . وحيُهُ من مُقْلتيْكْ

يا ضنيناً باللقا . . . حتّى اللقّا

ساعةَ الموت من الحرمان ويْكْ !



بعد الرحيل

وَدَّعتْنِى — يومَ أنْ ودَّعتَنِى —

نشوة الوجدانِ مِن خمر هواكْ

إِنْ تسلْنِى أىّ خمر أحتسى

فهىَ الأدمع .. مِنْ يوم نواكْ !

جَهِلَ الايمانَ ذا القلبُ الذي

يعبد الحسن ويصبو لسواكْ !

ما عشقتُ الورد لولا أنّه

صفحةٌ سالت عليها وجنتاكْ

ما حسبتُ الشمس الاّ أنها

تتلظّى يا حبيبي مِن جفاكْ

ما عبدتُ البدر لولا أنّه

لمحةٌ تنبع من نهر سَناكْ

حَسْبُ من يهواك ذلاّ انني

لا أرى نفسي جديراً بهواكْ !

على الرمس

قمتُ في الليل أُناجي مَضجعكْ

ليتني في الرمس أمسيتُ معَكْ

أنظُرُ الساعةَ قلباً هائماً

يرتجي السّلوانَ ممّن شيّعكْ

غيّبوك اليوم لكنْ خلّفوا

لوعةً في القلب ممّا استودعكْ

أيها الغائب عني ... ايتهم

فتحوا قلبي وشادوا مضجعكْ

هذه روحي فخذْ ان شئتَها

انني ألفيتُ شوقي أطمعكْ

ليتني أملك إبدالي بها

ساعةً في القبر أمضيها معكْ !

السفينة الحائرة

سرتُ فوق اليم في الليل الحزينْ

أُغرق الآمال في لُجتِـهِ !

وأقمتُ الليلَ موصولَ الأنينْ

أَندبُ الوجدان في عزْلتهِ

* * *

كم بكيتُ الناسَ طرًّا حينما

خلتهم فى المدْلهمّ اشتركوا

إنما مَنْ كان لحماً ودماً

يتشكّى الهمّ من حيث شكُوا

والذى ادهشنى أنْ كلما

لمحوا الدمع بعينى ضحِكوا

خفّفي يا عينِ ممّا تسكبينْ

واتركي العالَم في قسوتِهِ

إنما الانسان من ماءٍ وطينْ

ونماءُ الإثمِ في تربتِهِ

* * *

يا سفيناً سار من غير دليلْ . . .

يحملُ الناس إلى شطِّ الأسى

سارياً بالناس جيلاً بعد جيلْ

تائهاً من يوم نوحٍ ما رسا

ما درى السّفانُ من أين السبيلْ

وإلى أيٍّ يقودُ الأنفسا

سائلَ الموجاتِ : هلاّ يستبين

ما طواه اليمُّ في ظلمتِهِ

ها هو السمّانُ لليمِّ رهينْ
ونفوس الناس في رحمته

* * *

يا لنفسي ! إنها قد هالَها
أن ترى الأحزانَ في ثوب الفرحْ
كلما تلمح نفساً حولَها
وجدتْها طَرحَتْ عنها التَّرَحْ
رُبَّ نفسٍ قُدِّرَ الموتُ لها
غَرِقتْ بين الندامَى والقدحْ
فتناسَتْ أنها تطوى السنينْ
ثم تلقَى الموتَ في رَهبته
وتناست من ضجيج الشاربينْ
أنها تسلك في شُبهته

* * *

لو صحا الانسانُ من جهل الكَرَى

لرأى العودة من حيث أتى

ذلك الروحُ من الغيب سرَى

وإلى الغيب سيُنْهِي الرحلة

وكذا الجسمُ الى الموت جرى

أفما كان ترابًا ميتًا

عُدْ بنا للموت وارجعْ بالسفينْ

عبثًا حاولتَ في دفّتهِ

قد تولّانا الى المهد الحنينْ

وتشوّقْنا الى ضفّتهِ

* * *

يا ضفافَ الموت طالتْ غَيبتِي

خبّرى بالله أنّي نلتقي

أنقذَ السفّان ما في جُعْبتي
من بقايا الصبر في قلبي الشقّي

رحمةً بالله رُدّي غُربتي
بعد عشرين أشابتْ مفْرِقي

واجعليني في إعداد الآمنينْ
في حرام الموت ! في عِصمتِه !

وأرسلي في القلب من نور اليقينْ
لمحةً تكشفُ عن ظلمتِهِ

(*) لعمر الشاعر

سجين الليل

أيها الليلُ يا رهيبَ السكونِ

يا مُثيراً بما جنيتَ شجوني

جدِّد اليأسَ ما استطعتَ وحرِّكْ

لاعجَ الحزنِ في نزيلِ السجونِ

واتركِ الناسَ يعبثون قليلاً

في حياةٍ مليئةٍ بالفتونِ

لعبتْ في رؤوسِهم نشوةُ الخمـ

ـرِ فقاموا إلى اجتلاءِ المجونِ

* * *

وقف العالَمُ المذَّبُ يرنو

لنهارٍ يجرُّ في أثوابهْ

لم يذَرْهُ الظلام غير قتيلٍ

بين آكامه وموحشِ غابِهْ

دانَ شعبُ النهار بعد ذكاهُ

وطغَى كاسرُ الدُّجَى في رقابِهِ

حين أجْرَى دماءه لقَّبوها

شفقَ الشمس.. لا ضحيةَ نابِهْ!

* * *

لا إخال النجوم إلاّ دموعاً

مَلأ الليل.. من عيون النهارِ

أبعَدوا الشمس في الدجى فأسالتْ

شَغَفاً بالحياة هذي الجوارى

ساريات تَوَدُّ لو تسحق الليـ
ل وتمحو شقاوةَ الأسحارِ
وأراها على الدياجر بيضاً
كاللآلى على نحورِ الجوارى

* * *

أيُّها الليل يا رفيقَ شبابي
عِشتُها في حماك عشرينَ عامَا
قَدّر الله أن تكون لنفسى
أيها السجن في الحياةِ مُقامَا
قسماً بالإله لو خيّروها
لتمنّت على الدُّجى الإعداما
هو سجْنُ الظلام ما طاب إلاّ
للذى كان يعشق الإجراما

* * *

رقد الحائرون ليلاً وراحوا

في دُجَى الليل يطرحون الهموما

غافلَ الكُلُّ في الظلام أساه

وتناسى فؤاده المكلوما

حسب الليل عن أساه حجاباً

فتمنى لعهده أنْ يدوما

وصبا للسوادف الحلك حتى

لو تولّى لكان يُطفي النجوما

***

ها هو الليل فالسكون رهيبٌ

ولواء الكرَى يسود الأناما

غير جمع الأرواح في سامر الليـ

ـل تغنّى وترسلُ الأنغاما

لا يعيها من الخلائق سَمْع
غيرُ سَمْعِ الذى يُقيم الظلاما
تُنْشِدُ الناس أنّ غدر الليالي
بالبرايا يُصوِّرُ الأَحلاما

* * *

حين غرّه النيامَ صمتُ الليالى
وهْى في جَمعِهِنّ ثُمن كَيْدا
قامت الصادحات توقظ أُهلي
ـها وتُعْلي الغناءَ فيهم رُوَيْدا
أَخَذَتْها بواعثُ العطف لمّا
لَم تجد للظلام في الظلم حدّا
فأفاق الذى تبيّن ما في
لجُـَّةِ الليل مُشفقًا وتصدّى

* * *

يسهر الليل شاعرٌ ليس يجْنى
من أمانيه غير سُودِ الأماني
وعليلٌ مُستسلمٌ فى دجاه
لرسول الآلام والأحزانِ
ولعوبٌ على الشباب غريرٌ
قطع الليل بين أيدى الغواني
ومحبٌّ ... حبيبهُ يتجنَّى
بذل العمر في ادّكار الحِسانِ

***

فأخو الشعر ساهرٌ من أساه
وطريح الفراشِ جمّ الأنينِ
يبعثان الدموع في ماحل الليـ
ـلِ فتجرى على فيافي الشجون

وأخو اللهو غافلٌ ليس يدري
ما طوى الليلُ في ثياب السكونِ!

باعثٌ صيحةَ المجون ضحوكٌ
ليته مُبْدِلي بقلبي الحزينِ

* * *

أرسلوا — والسكونُ يغشى البرايا —
صيحةً أيقظتْ بقايا النيامِ

صرختْ في وجوههم أنْ أفيقوا
واطرحوا النوم يا أُولى الأحلامِ

تلك آمالكم تُشاد مدى اللي
لِ وتعلو بها يدُ الأوهامِ

إنَّها في الصباح من حسراتٍ
تدرسُ النفس يا ضحايا الظلامِ

* * *

غابَ مُلكُ النهار . . . والنورُ فيه

حين أرخَى الدُّجى عليه الستارَا

فالتمسنا على الدياجر قَبْساً

ونصبْنا على الظلامِ الأوارَا

ورضينا بلمحةٍ من شعاعٍ

قد تجلّتْ فذكّرتْنا النهارا

وبدا الفجر بعدها — وتبدّتْ

غُرّةُ الأفْقِ تبعث الأنوارا

* * *

فصحا العالَمُ الجديدُ وحيّى

مطلعَ الشمس واستبان الجمالا

ورأى النور فاهتدى وتهادى

وتجنّى على الليالي الضلالا

وتناسى الظلام بعد ذُكاءِ

وسناها ... واستقبلَ الآمالا

وأفاق السجين من وحشةِ السِّجْـ

ـنِ ففضَّ القيود والأغلالا

المنشودة

أنتِ طيف الله يا آسرتي

فيكِ ما فيه من الشكّ البعيدْ

وعلى عينيكِ آيات الهوَى

وهي للشاعر قرآنٌ جديدْ

من الرمس

شيّعوني... هل دروا من شيّعوا؟

لو دروا من في الثرى لم يرجعوا

لأقاموا عند رمسي دهرهم

يحسدون الرمس فيما أودعوا

وتمنّوا عودة الروح له

وهباتُ الموتِ لا تُسترجَع!

* * *

يا حبيبي.. هلمّ الروض على

موتِ ساقيهِ وضجّ المرتعُ

كم روينا الزهرَ والطير معاً

وأنا الساق وأنتَ المنبع

وٱستقينا مِنْ غديرٍ سال مِنْ
مُقْلتَيْنا ... والمياه الأَدمُع

وبنيْنا مَضجَعَ العُشب على
ضِفّتَيْهِ ... وٱحتوانا المضجعُ

* * *

قيلَ لى — أَلحدتَ يا عبدَ الهوى —
في سبيل الحب أَرضَى ما ٱدّعوا

أَنا لم أنكر إِلهى ساعةً
بل عبدتُ اللّه فيما يُبْدِعُ

غَزَلى كان شفيعى في الهوى
أَتُراه عند رَبّى يشفع ؟

ليـــلاى

إيهِ يا ليلاىَ . . . يا ذات العيون الساحرهْ

كم رأيتُ الليل يبكى للعيون الساهره

وشهدتُ الأُسرِ يحلو للجفون الآسره

هل أرى الرحمةَ يوماً من فؤاد الهاجره

* * *

كم عصرنا الراحَ يا ليلاىَ من كَرْم العيونْ

وروينا ظمأَ النفس من الدمع الهتون

وارتضينا منكِ ما كان سوف يكون

أكذا مَنْ يتفانَى فيكِ يا ليْلَى يَهون ؟

* * *

كم فتحتُ الصدر للعاذل لمّا أن عتبْ

وتحمّلْتُ طويل الهجر من غير سبَبْ

كل ما قدّمْتُ... قربانٌ على الصبِّ وجبْ

وفداءٌ للعيون الزُّرْقِ والشّعر الذّهَبْ



انشودة المحروم

أيها النور الذى أضحى مَشاعا

كُلُّ قلْبٍ نال منه ما استطاعا

ما لروحي في الدُّجى هامتْ ؟ وما

لفؤادى لم يَنَلْ منكَ شُعاعا ؟

* * *

أيها الدير الذى رُهبانُهُ

سجدوا فى صحنه الزاهى تِباعا

هل أنا الكافر بالحسن لكَىْ

تحرم القلبَ من التقوَى متاعا ؟

* * *

أيها السرُّ الذى غنَّى به

بلبل الحب فأفشى وأذاعا

كلّ سمعٍ في الورى أشجيتهُ

ما لأذْني لم تَنَلْ منكَ السّماعا ؟

* * *

أيها الملاّحُ قد أغْرَقتني

في محيط الحب قذفاً واندفاعا

كيف أنقذْتَ الورى من لجةٍ

ضَيَّعتْ مِني ضُحى العمرِ ضياعا ؟

* * *

أيها الساقي الذي جَرّعني

مِنْ دموعي ، وسقى الناس الدُّماعا

قد عفا المحروم من كأس الهوى

فوداعاً أيها السّاقي وداعا ! !

الانسان الاول

في فجرِ دنياكَ والأكوانُ ناشئةٌ
والله طفلٌ لهَا (1) بالطين والماء

مصوراً منهما الانسانَ في صُوَرٍ
لم يرضَ عنها مناهُ الطامحُ النائي

أفي عظيمَ الحِجا والتربَ تجربةً
إلاّ حثالةَ أضغاثٍ وأشلاءِ

فصاغَ آدمَ منها وهو ممتعضٌ
بعد الأمرَّيْن من عُدْمٍ وإعياء

وراحَ يخلقُ حواءً فما سَمَحَتْ
بقيّةٌ منهما في خَلْقِ حواء

فاضطرَّ يخلقُها من آدمٍ ، فاذا
مُرَكَّبُ النقص فيها لهوُ بنّاء !

(1) لها : عبث .

الراهب المتمرد

الراهب : أَيها الكاهنُ شاقتني الحياهْ

وسئمتُ العيش في جوف الفلاه

أَبعدْ المزمار عنّي ساعةً

أَيها المفْنِي شبابي في الصلاهْ

واتركْ القلب على أَهوائه

لا تضيّعْ ما تبقّى مِن صِباهْ

طال باسم الله ما عَذّبْتهُ

ذلك التعذيب لا يُرضى الاله !

* * *

خلّني يا كاهن الدير إلي

نضرةِ الأَيّام أَجتاز القفارْ

أنت أفنيتَ شباباً راحلاً

لَمْ أُميِّزْ فيه ليلاً من نهارْ

أجلالٌ في صلاتي ؟ نحِّه !

أوقارٌ ؟ ما لمثلي والوقار ؟

أإلى النار إذا عِفْتُ التُّقى ؟

إنها أهونُ من طول اصطبارْ !

* * *

كلما فاض الأسى عَلَّلتَني

أيها الكاهن يوماً بالمثوابْ

فلتحُلْ أُخراكَ عَنِّي ، انها

عالَم الشك ودنيا الارتيابْ

سوف ألقى سرمدَ النوم فى

ظُلمةِ الرمسِ فأرثي للشبابْ

وعلي الحالين هبني ساعةً

في نعيمٍ ... وخلوداً في عذابْ !

* * *

أيها الجاني علي قلْبي الصغيرْ

أنا في شكٍّ من اليوم الأَخيرْ

هَبْهُ — إِنْ لاقيت حتفي — لم يكُنْ ؟

فأنا الباكي علي عمري القصير

أكْبر الظنِّ إِذا آذنني

هاتف الموت وناداني النـذير

سوف يدوي ضحك الأَيام في

أذني — إِذْ كنت في الديوغرير !

* * *

إتئدْ يا كاهن الديرِ الذي

ينـكر الدنيا ويخشى الموعدَا

بين جنبَيْنَا قلوبٌ خَفَقَتْ

للجمال العبقريِّ المقْتَدَى

فإذا اللهُ — كما قلْتَ لنا —

خلق الناس لتقوى وهدَى

لا لحبٍّ وجمالٍ وهوًى

أتُراه خلق الحسنَ سُدَى ؟ !

* * *

ما ذوات الحسن الاَّ آيةٌ

مِنْ إِلَهى وشُعاعٌ مِن سناهْ

فاذا نَصْبُو لحسناء فلا

فتنةٌ فيها ولكن فى الالَهِ

والهوى خير العبادات فلا

تُثْقِل القلبَ بصومٍ وصلاهْ

إنما الحسناء فى فتنتها
هى ظل الله فى تلكَ الحياهْ !

* * *

عند ما تَدْوي نواقيس الرَّدَى
فتلبيها الجُموعُ الزاخرهْ
حيث نلْقَى الموتَ في كهفٍ لهُ
أشفقَتْ منه العظامُ الناخرهْ
يُشْرف الكونُ علينا ساخراً
من أمانينا الكِذاب الساخرهْ
فكأنّا ننكر الدنيا على
أملٍ ذي رِيبَةٍ فى الآخرهْ !

* * *

فإذا أخطأ ظنى وانتهتْ
كل نفسٍ لنعيمٍ أو جحيمْ

هل لمثلي أنْ يرى النار قذًى

وهى وعْدُ الغيد والحسن الرحيمْ ؟

أو يري الجنة نُعمى — وبها

كاهنٌ مثلك ذو رأي سقيم ؟

قُوتِلَ الإيمانُ ! — دعنى أغتنمْ

لذةَ الدنيا ففى الدنيا النعيمْ !

* * *

الكاهن : يا بنىّ احذرْ إلهاً سامعاً

كل ما قلتَ وحاذر نقمَتَهْ

كم ضجيجٍ ضجّ — مِنْ قبلُ — فما

أن أتاهُ الموت حتى أخفتَهْ

انما الدنيا سرابٌ زائفٌ

خاله الصادي مُقِلاًّ ظمأتهْ

خضّر الشيطانُ فيها هُوّةً

غُشِّيَتْ بالورد فاحذر هُوّتَه !

* * *

ما مكان الفرد في الدنيا ؟ وما

قيمة الانسان في الكون الكبيرْ ؟

صوتُكَ الصاخب ما غيَّرَ من

قوة الله ! ولا هدَّ العمير !

فاذا آذنكَ الموتُ انتهَتْ

نفسُكَ الحيْرَى إلى اليوم الأخير

حيثُ تَلقَى الله مُجزيكَ بما

كنت لا تؤمن من قول النذير !

* * *

الراهب : من هو الله ؟ وما صورته ؟

أهو الشمس لظاها وسناها ؟

أنكر ابراهام لما أفلتْ

أن يكون الآفِلُ الذاوي إلهاً[1]

أهوَ الأرض التي ذلّلها

عملُ الانسانِ واحتلَّ قواها ؟

أهو البدر وما البدرُ سوى

تابعٍ للأرض ظلاً واتجاها !

* * *

أمْ هو الموت ؟ وكم بدَّدَ مِنْ

أملٍ فينا وكم فضَّ سعادهْ !

وكم امتدَّ الى مُنْتزلٍ

أثقلَ الأرض صلاةً وعبادهْ !

وكم استكثر لذاتِ الدنى

فأتانا اللحد من بعد الوساده !

---

(١) أشار إلى ذلك محمد حافظ ابراهيم فى قصيدته « الشمس »

يا لَقُبْحِ الموتِ ! لا أحسبُ أنْ
يُسلِسَ المُبْدِعُ للقُبْحِ قيادَهْ !

* * *

أم هو الحسن ! وقد حَرَّمْتَهُ
أيها الكاهن في الدير عَلَيّْ
كلما أُصغي الى ترتيلهِ
صَدَّ ترتيلكَ عنه أذُنَيّْ
واذن فالنار مثواكَ فكم
سرتُ للفتنة أدعوها الىّْ
فاذا أدْرَكْتُها أدرَكتْني
فنفضناها وأخليت يديّْ !

* * *

أم هو الرعد وكم آذَنَنا
من سماء الكون بالأمر الخطيرْ

فانتظرنا فرأينا وعده

ما بدا منه سوى يومٍ مطيرْ

وشّح الأرض بأزهار الرُّبي

فأذاعت في الرُّبى طيب العبير

فهو ربٌّ مازحٌ مستضعفٌ

لا يداني قدره لبي الكبير !

* * *

أم هو الاعصار في ثورتهِ

طار بالأزهار أو فض الشجرْ !

أو سطا ظلماً على نافذة

أو رمى العابر ظلماً بالحجر !

فاذا ما أبرق البرق انزوى

فارقاً يشفق من كيد المطر[1]

---

(١) أشارة إلى سكون العاصفة بتأثير المطر .

تَحِجُّه عنى فلن أنعتَه
بالهٍ ذا الالهِ المحتقرْ !

* * *

الكاهن : اتئدْ في فكرة الكون وفي
صورة الله وفي دار البقاءْ !
هى أسرار تساوى عندها
رأى ذي الجهل برأى العلماء
أيها الحائر في المريخ هل
فيه عيشٌ ونشوءٌ وارتقاءْ ؟
خالقُ المريخ سرٌ غامضٌ
لا تسلْ في الأرض عن أهل السماء !

* * *

كل ما نعلم من أنبائهمْ
ساقهُ للناس أصحابُ الرسالهْ

قرؤوهُ في كتابٍ منزّلٍ
يتجلّى اللهُ كالنور خِلالَهْ
كم رأيتُ الله روحاً طائفاً
— في صلاتى — فتوسمْتُ جمالهْ
وتبيّنْتُ على موكبه
رونق الحق وعنوانَ الجلالهْ

※ ※ ※

هو في الدير وفي البيد وفي
سُبُلِ الدنيا وملء العالمينْ
ملكٌ ما الأرضُ في دولتهِ
غير نجمٍ والذي فيها قطين
لا ترى الخالق إلاّ أنفسٌ
فنِيتْ فى الله والعهدِ الأَمينْ

ما أتاها الشكُّ في سلطانه

لا ولا تهواهُ عن غير يقينْ

* * *

الراهب : إنما الله كما صوّرْتَهُ

أيها الكاهنُ ذاتٌ من عيونْ

مُستبدٌ . . . في يديه قلَمٌ

خطّ ما كان وما سوف يكونْ

ما لنا أن أنزلَ الله بنا

حدثاً قلنا طغَتْ فينا السنونْ

إنما الطاغي هو الله فلا

تسكني يا نفسُ يوماً للظنونْ

* * *

وإذا الله كما قلتَ لنا

قدّر الأعمال في سِفرِ الأزلْ

كيف يعزو للورَى آثامهم

وإلى النار إذا حُمّ الأجَلْ !

هل من الانصاف أن يأخذهم

بقضاهُ ! لا أرَى اللهَ عدَلْ !

أيها الكاهن ... إمّا خَطَلٌ

باتَ في رأسِكَ .. أم أنت ثَمِلْ !

***

الكاهن : آه من وسوسة الشيطان في

أُذُنِ الدنيا وأذهان البَشَرْ

طاف بالجنة حيناً وانبرى

للورى يُطْوِي لديهم كل شَرّْ

ثمّ ألْقَى الرحل بالدير فلم

تَلْقَهُ يا صاحِ في بعض الحذرْ

ما تفلسفتَ ولكنْ فكرةٌ

كلُّها إفكٌ وقلبٌ قد كفرْ

***

لراهب : أيها الكاهن هبْني كافراً

قاصرَ العقل دعيَّ الفلسفهْ

لمَ يهبْني الله تفكيراً به

أعرف الله تمام المعرفهْ

زلّةٌ لله لا أغفرها

إذْ أتاني فكرةً مستضعفه !

كلما أرغب عن إنكاره

شاء هذا الضعف أن استأنفَه !

***

قلتَ لي يا كاهن الدير : « لقد

غرّكَ الشيطان اذ وسوسَ لكْ »

مَن هو الشيطان ؟ لا أعرفه !

الكاهن : هو شرِّيرٌ وقد كان مَلَكْ

يتمشّى بيننا مستخفياً

في مُسُوحٍ مخفياتٍ كالحلَكْ

يوغر الناس على خالقهم

والذي يتبعه منهم هَلَكْ

* * *

إنه من زين الدنيا لكم

فاتبعتمْ يا أولي الدنيا هواهْ

في حياةٍ أضعفتْ فيكَ الهُدَى

حينما أنساكَ ما بعد الحياهْ !

الراهب (في ثورة) :

أهوَ الشيطانُ مَنْ زَيَّنَ لي

هذه الدنيا ؟ إذاً فهْو الالَهْ !

وعلى رِسْلكَ يا شيخُ ! فما

لىَ بعد اليومِ معبودٌ سواهْ

* * *

إيهِ يا شيطانُ يا ربَّ الهوى !

يا إلَهَ الدهر يا سِرَّ الوجودْ !

أنا لا أومِنُ بالبعثِ ولا

أحسب السرمدَ في غير اللحود

أنا لا أومِنُ بالله الذى

قد كنَى الكاهن عنه بالخلودْ

ديرُكَ الدنيا فخُذنى راهباً

ليس لى في فتنتى منها حدود !

* * *

الكاهن (ساخطاً) :

لعنة الله على شيطانكمْ

الراهب: تلعن الله الذى نعبدُ ؟ ويْكَ !

قد تجرّأتَ على شيطاننا

لعنة الشيطان يا شيخ عليكْ !

الكاهن: أيها الراهب إني مُشفقٌ

لك إن تلقَ الردَى من مَلَكيك

إنَّ مَنْ تعبدُ مخلوقٌ أبَى

طاعة الله . . . فقُمْ وانفُضْ يديك

***

الراهب: هَبْهُ يأبَى طاعة الله . . . أمَا

قلتَ إنَّ اللّه يقضي ما يشاءْ

لِمَ لا يقضي على شيطاننا ؟

لِمَ لا يهديه . . . . إنْ كان أساء

لِمَ لا يردَعه عن غيِّه

لِمَ لا يُرْجِعه من حيث جاءْ

يا لهـذا الله من مُستضعَفٍ
كيف ألّهَتْ عليكَ الضعفاءْ ؟

* * *

الكاهن : حكمة لله في سرِّ الهـدَى
والهوى عنـد تقيٍّ وظنينْ
انما الأنفس من خالِقها
فوق أُرجوحةِ شكٍّ ويقينْ
دُوَلُ الشيطان في الشكِّ ومَنْ
رجّحَ الشك له يومٌ مبينْ
والذي رجّح دولاتِ الهـدَى
أسعدته النفس في دنيا ودينْ

* * *

لراهب : لا أرى للهِ اتباعاً سِـوَى
قلّةٍ لم تدْرِ ما معنى الحياة

* * *

فاشهدْ الشيطان في موكبه

إن تنادَى لبَّت الدنيا نِداهْ

سار في الأرض وسارت حوله

زُمَرُ العالَم تُزْري بالآلهْ

جبروتٌ لستُ أدري كنهه

وجلالٌ لا أرى أين مداه !

* * *

الكاهن : راهب في الهند ناجَى ربَّه

قال يا ربِّ لقد حيِّرتُ فيكْ !

فاقِمْ لى آيةً لا ينتهى

لمداها الشكُّ حتى أصطفيكْ

فأجاب الله من عليائه :

« آية السابك إبداعُ السبيكْ »

فاتّئِدْ يا راهبَ الديرِ ولا
تتخذْ لله في الصنع شريكْ !

* * *

الراهب : آمَنَ الهندىُّ بالله الذي
زعموه ؟ ! ليتني كنتُ مَعَهْ !
لأُنبِّئَ اللهَ عن رأيِ الحِجَى
فيه كي يقنعَ أو أُقنِعَهُ
سَخِرَ اللهُ بِذا الهنديِّ ... يا
لغباء الهند أهل الصومعهْ !
آيةُ المبدع في إِبداعه ؟
سَلْ إِلَهَ الكون عمّنْ أبدعَهْ !

* * *

الكاهن : ويح نفسي من سؤالٍ لا يُرَدّْ
وارتيابٍ ما له في الكون حدّ

وَيحَ نفسي من أضاليل التُّقَى

وظنونٍ لَم يُبيِّنهَا أحدْ

أيها الراهب . . . إني حاملٌ

شرعة الإيمان من غير عُمُدْ

أيها الراهب . . . إني فارقٌ

لعبَ الشكُّ بقلبي ثم جَدّْ

* * *

زعموا أنَّ آلهي بارئي

ومقيمي في حياةٍ فانيهْ

وادّعوا أنّ إلَهي ناشري

ومعيدي لحياةٍ ثانيهْ

فأخو التقوى سيَلقَى جنّةً

دوحةُ الآمال فيها دانيهْ

وأخو الشيطان في الأُخرى انتحَى

دارةَ النار وبئس الناحيهْ

* * *

الراهب: كل ما يُقضَى على الكون جرَى

بيَد الله ... كما قيل لنا

فإذا أفسدَنا شيطانُنا

فهْوَ مَنْ قد أفْسَدت شيطانَنا

ثم ألقتهُ إلينا فمضَى

ينشر السُّخط علينا بيننا

وإذا أفسدَ نفسي مرةً

فلِمَ النارُ؟ وما ذنبي أنا

* * *

الكاهن: أيُّها الراهبُ قد كشفْتَ لى

حُجُبَ الكون فزعزعْتَ اليقينْ

انتَ هدَّمْتَ بقلبي دولةً
شادها الايمانُ دهراً واليمينْ
فسلاماً أيها الدير على
عهدكَ الماضى . . . وداعاً يا سنينْ
سيقول الناس عنى . . . قد عصى
طاعـة اللّه إمَامُ المتقّـين !

* * *

أإذا تدوى النواقيس انتهى
سا كنُ الدير إلى محرابهِ ؟
يقطع العمر شقيـّا . . . ويرى
لذة الدنيا على أبوابهِ !
عجباً ! حملتُ وجداني التُقى
وتهلّلتُ لِمَا أشْقى بهِ !

أيها الراهب هيا ... آن أن
نترك الدير إلى أصحابه

* * *

(يصيح منادياً رهبان الدير)
أيها الرهبان ان دوت نواقيس الصلاة
فأعدوا الركب للدنيا وغنوا للحياة
واتركوا الهيكل في الصحراء ينعى من بناه
واعبدوا الشيطان فالشيطان في الدنيا آله!

* * *

(ينشق سقف الدير وتنبعث أشعة من النور
ثم يهبط ملاك الموت باسطاً يده على رأس
الراهب المتمرد فيسود السكون)

أنشودة الموت

الراهب: يا ملاك الموت آمنت بموت وهجوع

يا ملاكَ الموت آمنتُ ببعثٍ ورجوعْ

ياشعاعاً يكشف الأسداف عن عيشي المروعْ

ورسولاً يبعث الأيمان في قلبي الجَزُوعْ!

* * *

يا ملاكَ الموت آمنتُ بسلطان الالَهْ

أيُّها الكاهن قُدْني لمحاريب الصلاهْ

فأنا الكون يدعوني الى غير الحياهْ

خلني أفْنِ المنيهاتِ البقايا في هواهْ

* * *

يا ملاكَ الموت إنْ قابلتَ ربَّ العالمينْ

قل له قد جاءك الراهب مصدوعَ اليمينْ

لابساً في موقف الموت مُسُوحَ النادمينْ

فلقد عَلَّمْتَهُ بالموت ما معنى اليقينْ!

* * *

يا ملاكَ الموت إنّ الروحَ كم يخشى مَعادَهْ
ها هو اليومَ إلى بارئهِ يُلقي قيادَهْ
قُل لربي انى أفنيت عمرى فى العبادهْ
لا تُقدّرْ لي شقاءً . . . لم أذُق طَعمَ السعاده

* * *

(يسقط الراهب المتمرد ويصعد ملاك الموت بروحه)

« الكاهن والرهبان سُجود »

الكاهن : يا ملاكَ الموت آمنتُ بسلطان الالَهْ !

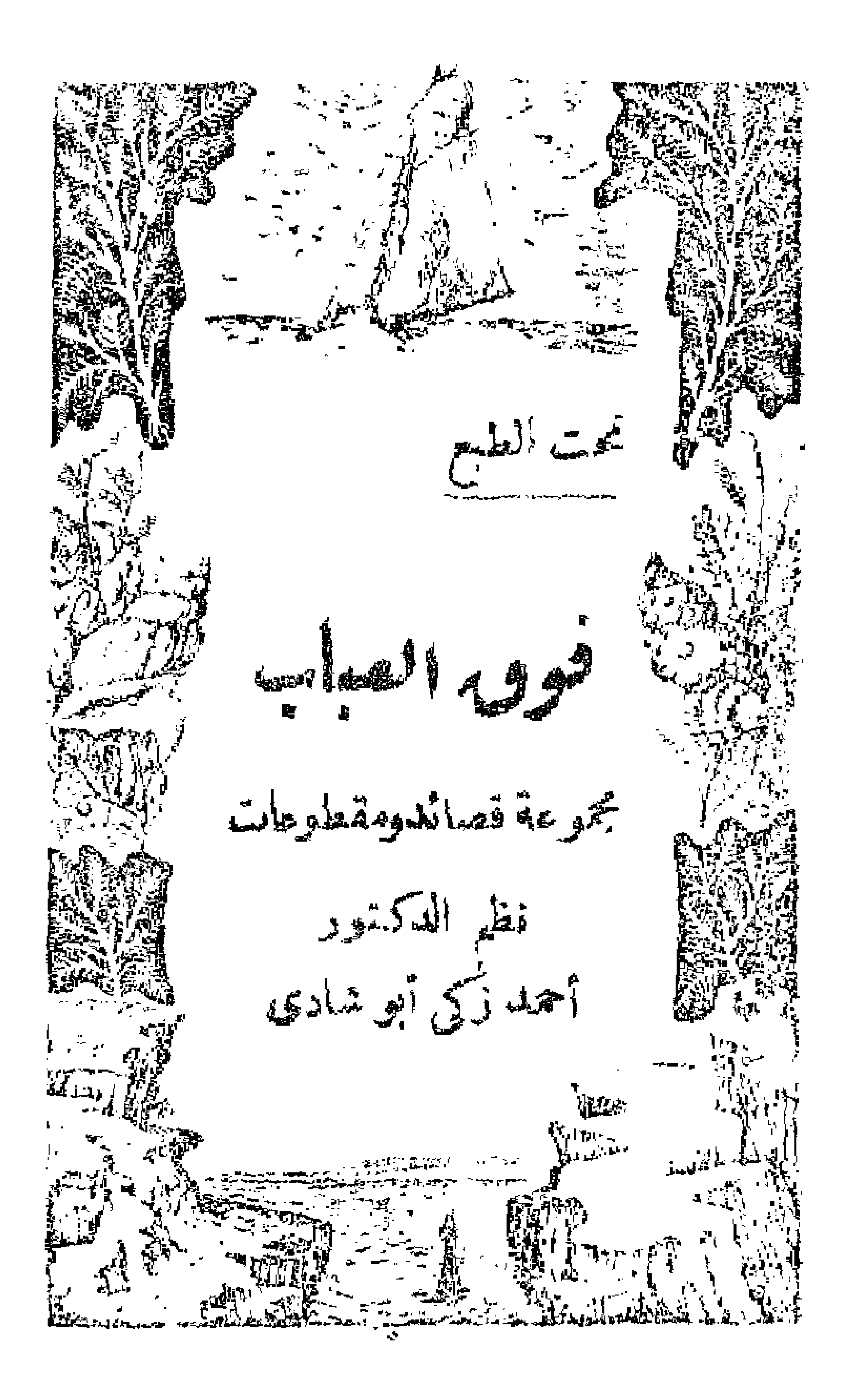
الرهبان : يا ملاكَ الموت آمَنّا بسلطان الالَهْ !








وراء الغمام
نظم
الشاعر الكبير
ابراهيم ناجي
سيصدر قريباً



تحت الطبع

فوق العباب

مجموعة قصائد ومقطوعات

نظم الدكتور

أحمد زكي أبو شادي



تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	٤	seams	seems
٣١	١	أو	و
٣١	١	تشـ	تَشَـاءُ
٦٣	١٣	العمرِ	العمرَ
٦٩	١	ونموس	ونفوس
٧٥	٧	الـكؤس و	الـكؤوس
٧٦	٥	فادركيني	ادركيني
٨٣	٩	المرة	المرء

تم طبع الديوان فى ١٠ مارس سنة ١٩٣٤

المدد المطبوع ألف نسخة

ثمن النسخة ٥٠ مليماً